

## بوحُ الذَّاكِرَةِ الطُّفُولِيَّةِ وانعكاساتها النَّفْسِيَّةُ في رواية "مفتاحُ البابِ المخلوع" لراشد عيسى Childhood Memory Revelation and Its Psychological Reflections in the Novel "The Ousted Doorknob" by Rashid Issa

عمر أحمد حمد الربيعات<sup>(1)</sup>

Omar Ahmad hamad Al-Rbehat<sup>(1)</sup>

[10.15849/ZJJHSS.241130.01](https://doi.org/10.15849/ZJJHSS.241130.01)

### الملخص

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن صور الذَّاكِرَةِ الطُّفُولِيَّةِ في رواية "مفتاحُ البابِ المخلوع" لراشد عيسى، وأثرها على الحالة النَّفْسِيَّةِ للكاتب. كما تهدف إلى إيجاد الصَّلَاتِ الموضوعيَّةِ بين تمثُّلاتِ الذَّاكِرَةِ الطُّفُولِيَّةِ (الذَّاتُ، الأبوةُ، الأمومةُ، المكانُ) وأهداف استدعائها في الرواية، وأثرها في الرِّغباتِ المكبوتة في ذاتِ الكاتب. المنهجية: اعتمد الباحثُ المنهج النَّفْسِيَّ في كشفِ الدَّلالاتِ النَّفْسِيَّةِ لصورِ الذَّاكِرَةِ الطُّفُولِيَّةِ في الرواية، مستندًا إلى الدِّراسات النَّفْسِيَّةِ في استدعاءِ هذه الصُّورِ للكشفِ عن الكيانِ النَّفْسِيَّ للكاتبِ والعصاباتِ والأحداثِ التي استدعتُ ظهورها. النتائج: توصلتِ الدراسةُ إلى وجودِ علاقاتٍ ارتباطيَّةِ بين استحضارِ الذَّاكِرَةِ الطُّفُولِيَّةِ ومعاناةِ الكاتبِ في طفولته، وأثرِ العلاقاتِ الأسريَّةِ والبيئيَّةِ المتمثِّلة في الأب والأم والمكان على نفسيَّةِ الكاتبِ وشخصيَّته الطُّفُولِيَّةِ. وقد ظهرتُ علاقاتُ عدمِ الموائمةِ والقلقِ والخوفِ والرَّهابِ جليَّة في ذاكرته الطُّفُولِيَّةِ في الرواية. الخلاصة: خلصتِ الدراسةُ إلى أنَّ ثَمَّةَ علاقةٍ طرديةً بين معاناةِ الكاتبِ في طفولته وما واجهه من قمعٍ وعنفٍ ورهابٍ أُسْرِيٍّ، وما عاناه من ظروفٍ معيشيَّةٍ ممثِّلة بحالةِ الفقرِ والعوزِ والجرمانِ مع صورِ ذاكرته الطُّفُولِيَّةِ. كلمات مفتاحية: الطُّفولة، الذَّاكرة، الأمومة، الرِّغباتِ المكبوتة، تمثُّلاتِ الطُّفولة، الأبوية، الذات.

### Abstract

#### Objectives:

This study aims at uncovering the images of childhood memory in Rashid Issa's novel "The Ousted Doorknob" and its effect on the psychological state of the author. The study also seeks to establish objective relations between pictures of childhood memory (self, fatherhood, motherhood, place) and their purpose of recalling them in the novel, as well as their impact on the author's repressed desires.

The researcher applied psychological approach to reveal the psychological significance of childhood memory images in the novel, relying on psychological studies to show these images' significance for understanding the author's psychological entity, distress, and the events that caused their presence.

The study revealed that there are associative relationships between evoking childhood memory and the author's childhood suffering, and the effect of family and environmental relationships represented by fatherhood, motherhood, and place on the author's self and his childhood personality. The study also showed relationships of antagonism, anxiety, fear, and phobia emerged in his childhood memory in the novel.

The study concludes that there is a causal relationship between the author's childhood suffering, including suppression, violence, and family phobia, and the living conditions characterized by poverty, deprivation, and exclusion, along with the images of his childhood memory.

#### Keywords:

Childhood, Childhood pictures, Fatherhood, Memory, Motherhood, Repressed desires, Self

<sup>(1)</sup> The World Islamic Science & Education, Faculty of Sciences & Arts, Department of Arabic Language & Literature, Modern Arabic literature and its criticism

\*Corresponding author: [Omer\\_rbehat@yahoo.com](mailto:Omer_rbehat@yahoo.com)

Received: 08/05/2024

Accepted: 24/07/2024

<sup>(1)</sup> جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الآداب والعلوم، اللغة العربية

وآدابها، الأدب العربي الحديث ونقده

\* للمراسلة: [Omer\\_rbehat@yahoo.com](mailto:Omer_rbehat@yahoo.com)

تاريخ استلام البحث: 2024/05/08

تاريخ قبول البحث: 2024/07/24

## المقدمة

لا شك أن للطفولة رغائبها ورهائبها، كونها المهد الأول لتشكل الشخصية الإنسانية التي تمهد لظهورها وانبثاقها المستقبلي، فكثيرا ما تؤثر أحداث الطفولة وما يواجهه الطفل فيها في تكوين شخصية المستقبل سلبا أو إيجابا، فهي المخزون الانفعالي الذي يلزم الشخصية ويستهيوي مكوناتها على مدى سنوات العمر، فكثيرا ما نجد أشخاصا يعودون في أحاديثهم إلى استذكار أيام طفولتهم بشيء من السرور والبهجة، خصوصا إذا ما واجهتهم صعاب الحياة ومعاناتها، أو إذا ما أرادوا الهروب من واقعهم الحاضر. إن حضور الطفولة برغائبها ورهائبها حضور دفاعي من واقع مأزوم مقلق مؤلم في كثير من الأحيان، وهو في الوقت ذاته وسيلة دفاعية لحماية الذات المكتملة النضج، ذلك أن ضالة الحماية الطفولية وقد تخطت تلك المرحلة وأحداثها رغم الضعف، تجعل حضورها ميكانيكيا دفاعيا قادرا على تخطي هذه اللحظة الراهنة، هذا على مستوى الأشخاص العاديين الذين ربما لا نستطيع التقاط إشاراتهم الطفولية من خلال أحاديثهم العابرة، وهي إشارات ليست مسجلة أو مثبتة نستطيع القبض عليها لتحليلها أو فتح صندوق أسرارها كما هو الأمر عند المبدعين والكتاب من شعراء ونائرين، نستطيع أن نتلمس تلك الإشارات وفحصها بالملاحظة والتحليل والتعليل، وربط ظهورها وتوظيفها في إبداعاتهم.

إن من يطالع رواية "مفتاح الباب المخلوع" لراشد عيسى، وهي الرواية الوحيدة له، لا يواجه عناء في كشف الذاكرة الطفولية فيها، ولا تجليات الطفولة التي عاشها من خلال بطلها المتخيل (جينو)، الذي ابتدعه راشد عيسى ليعيد إلى متلقيه سيرته الأولى من ناحية، ويعيد صياغة حياته من ناحية أخرى، مستنكرا صورة التكوين الأولى إلى جانب مصادر الأمن والحماية الذاتية الأب والأم والمكان، وهي الموضوعات التي سناقشها هذا البحث من خلال استجلاء الذاكرة الطفولية لهذه الثيمات الثلاث، وبيان دورها في ذات المؤلف وتأثيرها على الحالة الراهنة له.

تكمن مشكلة الدراسة في إيجاد الصلات المنطقية بين حضور الذاكرة الطفولية في المتن الروائي، والحالة النفسية للروائي التي تجلت في هذا الحضور، حيث استدعت مجموعة من الأسئلة التي تحاول الدراسة الإجابة عنها من مثل: كيف ظهرت علاقة بطل الرواية بكل من والده وأمه ومحيطه المكاني والاجتماعي؟ ولماذا ظهرت صورة بطل الرواية (جينو) على هذا النحو المغاير لمرحلة الطفولة المتوسطة؟ وما الأسباب التي أثرت في ظهور هذه الشخصية غير المتوائمة أسريا واجتماعيا؟ وما أثر الذاكرة الطفولية في ظهور صورة المكان غير المتوائم مع بطل الرواية؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة، سعت الدراسة إلى تحليل صور الذاكرة الطفولية المتمثلة بشخصية البطل جينو، وصور كل من الأب والأم والمكان، وأثر الحالة الاجتماعية من فقر وحرمان على تكوين شخصية جينو.

وقد اتخذ الباحث المنهج النفسي سبيلا للإجابة عن هذه الأسئلة، من خلال تحليل هذه العلاقات التي ظهرت في صور الذاكرة الطفولية في متن الرواية، مستندا إلى إحالات الرواية المرجعية من جانب، وفي الدراسات النقدية والنفسية من جانب آخر.

وقد اعتمد الباحث على مجموعة من الدراسات السابقة في هذا الموضوع من مثل: دراسة عمر الريحيات، "الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي الحديث"، رسالة دكتوراه، 2010، ودراسة سامح

الرواشدة، "الشعر وذاكرة الطفولة دراسة في شعر محمد لافي"، 2011، ودراسة راشد عيسى، "استدعاء الطفولة في الأدب"، 2013، ودراسة عماد الضمور، "راشد عيسى وثلاثية السيرة الأدبية"، 2021، وميزة هذه الدراسة أنها ربطت بين الذاكرة الطفولية والتحليلات النفسية. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من مثل تأثير حالة الفقر والحرمان على شخصية بطل الرواية، وعلاقة البطل غير المتوائمه مع محيطه الأسري (أبوه وأمه) ومع بيت العائلة، بينما أبدى تواءماً مع غيرها.

## تمهيد

يعد عالم الطفولة من أكثر العوالم الزمنية التي ركزت عليها الأبحاث النفسية والاجتماعية، وأخذت حيزاً كبيراً من اهتمام المشرعين ودعاة الحقوق الإنسانية، لما لها من أهمية بالغة في التكوين الإنساني على العموم، وأثرها على سلوك الأفراد على وجه الخصوص، فهي المرآة لعالم المستقبل، بحيث تشكل "جنور التكوين النفسي للفرد، وتستمر بخطواتها العامة في مراحل الحياة المقبلة"<sup>(1)</sup>. ومن هنا جاءت الدراسات النفسية والاجتماعية لتجلية مفهومها وحدودها الزمنية، وأهمية فهمها ومتطلباتها.

تعد مرحلة الطفولة "من أكثر المراحل العمرية تخزيناً للأحداث والمواقف والذكريات التي يمر بها الإنسان، حيث تخزن أحداثها في الذاكرة العميقة التي تحتفظ بها أطول فترة ممكنة من الزمن مقارنة بالذاكرة السطحية التي سرعان ما تزول منها الذكريات"<sup>(2)</sup>، ذلك أنها المرحلة البكر للعقل البشري، والصفحة البيضاء التي تخط عليها الأحداث والمواقف نقوش الشخصية، ومن هنا ندرك أهمية تلك الدراسات التي أجريت على عالم الطفل، وكيف سهلت علينا "فهم الشخصية الإنسانية بما قدمته من دراسات مهمة ونتائج عميقة لفهم العلاقة الجدلية بين ذاكرة الإنسان، وأدائه الراهن ومتوقعات فعله المستقبلي"<sup>(3)</sup>.

إن مرحلة الطفولة على درجة بالغة الأهمية في تكوين الشخصية الإنسانية وطبيعة النفس البشرية، لما تشكله من قاعدة معرفية بالأشياء المحيطة بالطفل، وما يطرحه من تساؤلات حول هذا المحيط، بدءاً بالأسرة فالمجتمع ومن ثم بالمكان وأحداثه، ومن هنا تتشكل هذه الذاكرة العميقة التي يرتبط بعضها "بالكلام والألفاظ أو اللغة وتشكلاتها وطبيعتها أنظمتها التي يتعلم الطفل معطياتها منذ ولادته، من خلال ما يسمعه من ألفاظ على لسان والدته ووالده ومن حوله"<sup>(4)</sup>، ذلك أن اللغة تعتمد الحاسة السمعية، وهي في الوقت ذاته أداة التعبير عن ذكريات الطفولة، بما اختزنته من أحداث ومواقف أثرت في ذات الطفل.

فعلى "الرغم من حداثة عمر الطفل وعدم وعيه بما يخزنه في ذاكرته، إلا أنه يصنف التجارب المختزنة إلى أصناف، فيختزن الخبرات الخطيرة والمؤثرة والمهمة، ويثبت عليها عناصر حمايته إلى الحد

(1) منسي، حسن، علم نفس الطفولة، دار الكندي، الأردن، ط 1998، ص 20.

(2) الربيعات، عمر، الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان 2011، ص 9.

(3) الرواشدة، سامح، الشعر وذاكرة الطفولة، دراسة في شعر محمد لافي، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2011، ص 13.

(4) الرواشدة، سامح، نفسه، ص 16.

الذي دفع فرويد إلى تسميتها بالذكريات الستاريّة<sup>(1)</sup> التي تبقى حاضرة في تخزين اللاوعي الباطن، إلا أنها متحفزة للظهور عند أول تجربة مشابهة لتلك الحادثة أو الموقف الذي خزنت من أجله، فهي وأن بقيت نائمة تحت ستار اللاوعي إلا أن استجرائها يعيد إحيائها من جديد. "ولعل ما يثير العجب أن ذكرى الألم غالباً ما تظل دون تغيير عبر الزمن، وقد أوضحت الأبحاث التي أجريت لعقود في مجال علم النفس السبب في ذلك، والتي بينت أننا نعيد بناء الذكريات بشكل مختلف قليلاً كلما تذكرناها"<sup>(2)</sup> وهذا ما يفسر استنكارنا لمواقف الحزن والألم أكثر من غيرها من الذكريات، فغالباً ما نتحدث أو نتذكر الماضي كلما شعرنا بشيء من الضيق أو الكظة من الواقع الذي نعيش، وربما يظهر هذا عند المبدعين بجلاء أكثر مصحوباً بخيالهم الإبداعي.

والسؤال: هل تتحول الذّاكرة إلى مكون أساسي من مكونات شخصيتهم الإبداعية لتسهم في تشكيل قدرته الإبداعية والذهنية، وتبني خياله، وتسهم في تشكيل أعماله الفنية، وتسمها بسمات آتية بتأثير ما استقر في الذّاكرة من مخزون متعدد الطاقات والمكونات<sup>(3)</sup>؟ وقد لا يكون مستغرباً أن نجد حضور المبدع في نصوصه الإبداعية بشكل لافت، وإن كان العمل الإبداعي عملاً متخيلاً ينفصل في مبناه العام عن حياة الأديب وسيرته الحياتية، إلا أن ظلاله لا بد أن تظهر في العمل الفني "ولا احسب أن أديبا يختلف عن آخر في فكرة النزوع إلى استدعاء الماضي الطفولي إلا بمقدار جودة تعبيره عن فلسفة الحنين ومقدار إضافته الجمالية والفكرية في النص ومقدار إدارته لحالة القلق الآتي إدارة إبداعية تضيف الجديد"<sup>(4)</sup> إذن فهذا اعتراف صريح من أديب له محاولات إبداعية عديدة في الشعر وفي هذه الرواية، فأحداث الطفولة أو الذكريات تخترق مدارات القص عند أي أديب، إلا أنها تختلف في قدرة الأديب على التخفي داخل هذه الأحداث في المتن النصي، جاعلاً من المتخيل الإبداعي حالة من التماهي مع شخصياته الإبداعية، ليصبح العمل الفني صورة متخيلة لحياة المبدع وما واجهه فيها من أحداث اجترتها الذّاكرة إلى نصه بوعي خالص، ليغدو العمل الإبداعي سيرة ذاتية بقلب تخيلي، يضيف المبدع على أحداثها أحاسيسه وعواطفه ومخياله الأدبي، حيث أن السيرة الذاتية تقوم على لون من المزاجية بين الحرفية والمجازية، بمعنى أنها تستعيد الحوادث والحكايات والتجارب الفاعلة في بناء الذات، ثم تقوم بنقلها من مدارات الذّاكرة إلى بنية النص المتشابهة<sup>(5)</sup>.

ومن هذا الطرح يحاول البحث اكتشافه أحداث الطفولة التي عاشت في قوقعة اللاوعي عند راشد عيسى زمناً طويلاً، ليستحضرها من خلال الذّاكرة في روايته "مفتاح الباب المخلوع". وراشد عيسى في هذا المقام ليس بدعا من الأدباء، وإنما هو واحد من العديد من الروائيين الذين تمظهرت ذواتهم في أعمالهم الأدبية، بدءاً من طه حسين في "أديب"، وتوفيق الحكيم في "عصفور من الشرق"، ويحيى حقي في "قنديل

(1) الرواشدة، سامح، نفسه، ص 16.

(2) هاموند، كلوديا: لماذا تصاحبنا الذكريات المؤلمة زمناً طويلاً، موقع (BBC Future)، 19 مارس، 2015.

(3) رواشده، سامح: سابق، ص 14.

(4) عيسى، راشد، استدعاء الطفولة في الأدب، كتاب الرياض، 183، ط1، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، 2013، ص 5.

(5) الشيخ، خليل: السيرة والمتخيل، قراءات في نماذج عربية معاصرة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص 260.

أم هاشم"، وتيسير السبول في "أنت منذ اليوم"، والقائمة تطول، إذ حضرت في أعمالهم بشكل جلي، وإن حاولوا التماهي خلف شخصياتهم الروائية.

وإذا ما أنعمنا النظر في رواية "مفتاح الباب المخلوع" قيد الدراسة، وجدنا تظهر السيرة الذاتية فيها بشكل جلي، حيث أن مسرودات الرواية في أغلبها هي أحداث عاشها راشد عيسى على الحقيقة، تناولها في نصه الروائي من مثل طفولته، وعمله مدرسا في السعودية، وحياته في المخيم، وحديثه عن مولد الشعر لديه، وغيرها من الأحداث، تشي أن راشد عيسى هو بطل الرواية جينو. وقد تناول عماد الضمور هذه الرواية في دراسته تحت عنوان جدل السيرة الروائية في مفتاح الباب المخلوع في الفصل الثالث من دراسته المشار إليها في مصادر هذه الدراسة، كم أن هذه الرواية هي التجربة الوحيدة لراشد عيسى، أراد أن يسجل فيها شيئا من تجربته الحياتية.

### تمثلات الذات

بداية رغم محاولات المبدع -أي مبدع- إخفاء وجوده في النص، لدحض فكرة ذاتية النص، متوسلا بالخيال وأدواته السردية، إلا أن ظلالة في النص تُبقي أثرا يمكن اقتفاؤه والوصول إلى حضوره الفيزيائي فيه. وقد اختار راشد عيسى مبدأ التخفي خلف شخصية بطل الرواية (جينو) تاركا له سرد تلك السيرة، إذ إن "كتابة السيرة الذاتية التي تقوم على الصراحة والاعتراف مخاطرة، لأن تلك الصراحة تتعارض في كثير من تجلياتها مع الخطاب الاجتماعي القائم على الكتمان والاستتار"<sup>(1)</sup>، وبذلك تجاوز راشد عيسى هذا الحاجز الاجتماعي أو التابو الذي يغلف الأفعال والسلوكيات بغلاف المحرم، أو وضعها في صندوق المسكوت عنه في العلاقات الاجتماعية.

ومن هنا يبدأ روايته بالتعريف بالذات، وكأنه يسرد سيرة ذاتية على لسان بطل الرواية: "منذ السادسة من عمري... كل ما حولي يؤكد أنني طفل من سلالة غير بشرية، شعوري بأني غريب عن هذه الأسرة، عزلتي الدائمة، رغبتني المستمرة في المشي وحيدا في الليل، لا أحد يسبقني في الركض أو تسلق الأشجار العالية، أحل مسائل الحساب في الهواء، أحب القطط السوداء، والصقور التي تقف في الهواء، أحب سرقة اللوز والمشمش والتين من الكروم، عند خروجي من البيت صباحا أغمض عيني وأرفع ذراعي إلى السماء وأقول: صباح الخير أيها الرب..."<sup>(2)</sup>، إن هذا الاستهلال يشي بإرادة الكاتب إظهار التفرد، والتميز في شخصية البطل منذ الطفولة، سواء في أسرته أو في مجتمعه، إلا أنه في الوقت ذاته يكشف عن التكوين النفسي المتناقض لهذه الشخصية، غير المتوائمة مع الكيان الاجتماعي، إذ أورد السارد مجموعة من الأفعال والسلوكيات التي لا تتناسب مع طبيعة السلوك الطفولي السوي أو المتوائم، فهو "ضد النمطية، التمرد الدائم على الحياة، غير متوائم مع الحياة، طبع شخصيته بالفردة وأحيانا أخرى بالانكفاء على الذات"<sup>(3)</sup>، فهو يشعر بتكوينه غير البشري وغربته عن عالمه، ووحدته الدائمة، وعزلته عن محيطه

(1) الشيخ، خليل، السابق، ص 163.

(2) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص 10.

(3) الضمور، عماد: راشد عيسى، وثلاثية السيرة الأدبية، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2021م، ص 107.

رغم صغر سنه، وهذا النوع من الإحساس إنما يتولد من سلوك المقارنة مع الآخرين، فقد يعود إلى حالة الحرمان التي عاشها، وحياة الفقر والقهر التي لازمت طفولته، وبقيت متخفية في عالم اللاشعور الذي يحز على ذاته، بحيث تحاول الظهور في كل مرة يشعر بها بالضيق أو القهر الداخلي، لتخرج على شكل إبداع فني ينفث من خلاله هذه المكبوتات؛ لإعادة التوازن إلى النفس المرهقة، ذلك "أن العمل الفني يمكن إرجاعه إلى العقد النفسية بمثل ما يمكن إرجاع العصاب إليها"<sup>(1)</sup>، فلم يظهر بطل الرواية بصورة المتوائم مع محيطه، لا في البيت ولا في المدرسة، كما لم تظهر صورة الرفاق التي تميز عالم الطفل، إذ ظهر في مفاصل الرواية جميعها وحيدا، يسرد بعضا من الأحداث التي أثرت في تكوينه الشخصي، وطبعت سلوكه بطابع خاص مغاير للسلوك الطفولي، وإن ظهر السلوك الاستحواذي على الأشياء في نهاية المقطع النصي.

ويمضي راشد عيسى في استكناه اللاشعور لديه واستحضاره بطريقة رومانسية فنتازية، رغم أنها لا تخلو من العبثية، ولكن ليس عبثية الطفل العادي، وإنما طفل يمارس في سلوكه كلَّ غريب "ينزل الثلج فأحسب أن السماء بائع أزهار يرمي الياسمين الأبيض على البشر، أحب النوم في المغاور والجحور وتجاويف الزيتون الهرم، أكل الجنادب والنمل الطيار، أستمتع بصيد الأفاعي والعقارب، أسرق بيض العصافير وأكله، أخلع الأعشاب وأشم جذورها، تتراءى بين عينيّ دائما صورة أنني قطّ ضخم يقف أمام كلبة صغيرة أسمها الدنيا"<sup>(2)</sup>، ولا يخفى من خلال هذا المقطع حياة البؤس والحرمان التي يعانها بطل الرواية، وقدرته على تحديها والتغلب عليها، وهو في الوقت ذاته مسكون بهذه الذكريات المؤلمة، التي يحاول أن يجملها بهذا النهج الرومانسي من الإبداع، فالمبدع في كثير من الأحيان "يبقى مأسورا لماضيه، يظل يحيا بحنين دائم إلى ماضٍ لا يعود"<sup>(3)</sup>، وربما آخر عبارة من المقطع السابق قد باحت بهذا الشعور، فصورة ضخامة الذات أمام ضآلة الدنيا التي عاناها وتحداها بقيت ماثلة أمام ناظره، يحاول أن يبرزها ويخرجها من قوقعة الباطن إلى فسحة الوجود، ذلك "أن الإنسان خلال مراحل حياته معرض للتهديد بطرق مختلفة، ولكي يحمي نفسه من هذا التهديد؛ فإنه يلجأ إلى ميكانيزمات دفاعية للمحافظة على كيانه وأمانه النفسي"<sup>(4)</sup>، وإن استحضار هذا الماضي هو نوع من إراحة الذات من أعباء المكابدة للواقع، وأن ما يحدث معه في واقعه الآن هو جزء من معاناة أصعب استطاع أن يتغلب عليها في ماضيه.

والحقيقة أن مثل هذه الإشارات الطفولية ما هي إلا تشكيل للذات في المقام الأول وكشف عنها، وما عانته وتعاينها في المقام التالي، يقول: "وضعت في صحن قطعة خبز ناشف، بللتها بالشاي... أكلتها وحملت حقيبتني القماشية المصنوعة من أكياس الطحين، تشبه المخلاة التي يضعونها في رقبة الحمار، وذهبت إلى المدرسة حافيا كعادتي، وفي بالي رغبة عنيفة لأعرف من الذي أخرج إلي من بلاده"<sup>(5)</sup>، لا

(1) يونغ، ك، غ: علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، اللاذقية، 1997، ص171.

(2) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص11.

(3) ضمرة، محمد: مكانة المكان، دراسة تحليلية ي ثلاثية عبد الله رضوان الشعرية، دار البيروتية، عمان، 2006، ص31.

(4) العناني، حنان: الصحة النفسية للطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1990، ص64.

(5) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص27.

يخفي ما في هذه الوقفة الوصفية المشهدية من تصوير لحالة البؤس والفقر والمعاناة التي تعترض بطل الرواية، وهي ذاكرة عميقة بقيت في حالة السكون والتخفي والمنع، إلا أنها لا تموت أو تنطفئ، فهي إحدى الرغبات التي لم تتحقق حتى وإن انقضى وقتها، وما ظهورها هنا إلا نوع من إخراج هذا المكبوت إلى حيز الوجود من خلال عمل إبداعي منتج، يعيد للذات التوازن النفسي، ذلك أن "المنع لا يقضي على النزعات النفسية فهي تظل قوة متحفزة للظهور، ولكنها تبقى مع كل هذا متخفية فيما يسمى بالاشعور"<sup>(1)</sup> على أن تأتي لحظة انفجارها وخروجها من قوقعتها.

لقد كان للعلاقة القلقة بين الطفل جينو وأبيه دور بارز في تشكيل الشخصية الطفولية غير المتوافقة مع الذات والمجتمع من حوله، إذ عاش علاقة أسرية يشوبها عدم الاستقرار العاطفي، إذ كان محاطا بحالة من الخوف والرغبة التي فرضها الأب على العائلة، حتى الوالدة مصابة بالرهاب والاستكانة والقلق الدائم الذي انعكس على مستوى الحنان الذي يحتاجه جينو، وهذا ما دفعه إلى القول "أنا لا أريد منه ولا من زوجته حباً، فالشجر يحبني والماء يحبني والطيور تحبني، وكل بقرة أمي... عندي في أعماق ذاتي كل شيء الفرح والحزن، معي أسئلتي ومعني إجاباتي، سأواصل اللعب مهما تكن النتيجة، فأنا معجب بهذا الرجل المتناقض في كل شيء"<sup>(2)</sup>، ويقصد بذلك إيلي الأب، فهو يدرك بداية مدى فقدته للحنان والعطف الذي يحتاجه الطفل، ومن هنا أسقط على الطبيعة التي أحبها هذا الشعور، فهو يستمد هذا الحنان المفقود منها ومن موجوداته في محيطه، والأمر الآخر، إدراكه أنه في واقع يجب أن يتحدها ويواصل اللعب مع هذا الرجل الذي هو قدره، وفي الوقت ذاته يشعر بالإعجاب به؛ لأنه مصدر الحماية، فهل حالة التناقض التي رسمها لذاته هي نوع من النمذجة الأبوية؟ وهل هي من باب الدفاعات النفسية لحالة الخوف والرعب الذي كان يمارسه عليه (إيلي) الأب؟ ربما لا نجانب الحقيقة إن قلنا إن العلاقة القلقة التي سادت بين الابن (جينو) والأب (إيلي) هي التي ولدت هذه المشاعر المتضاربة في ذاته "غير أنني دائم الشعور بأن لدي قوى مؤجلة تزيد يوماً بعد يوم، وأن لا شيء يسعدني ولا شيء يحزني... كأني مكتفٍ بنفسني أو كأن بي جنناً وشيطاناً وملاكاً وإنساناً معاً"<sup>(3)</sup>، فهو يقع بين حالة من عدم التوازن النفسي، فمن يمارس عليه الرهاب والده الذي يجب أن يكون مصدر الحماية والعطف، إلا أن ذلك لا يتحقق في واقع حياته، مما ولد لديه هذه المشاعر المتضاربة.

أما الشعور الذي سيطر عليه طيلة سرده للرواية فهو الطفولة المفقودة، وأنه لم يعيش هذه المرحلة كباقي الأطفال، مما جعله على الدوام في ذاكرة مستمرة لكتابة تلك الفترة على بياض روايته، أو سد ذلك النقص الذي عاناه في تلك المرحلة، سواء على مستوى الحالة الاجتماعية المتمثلة في حياة الفقر والعوز "شجرة التوت وطن الغرباء، أضع ثمار التوت في صحن وأبيعه للمارة، كل حبة توت بحجم حبة المشمش"<sup>(4)</sup>، فهو يحاول المستطاع تحدي الحياة وفي الوقت ذاته التواؤم مع الواقع الذي بدا فيه غريباً

(1) إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، 1990، ص39.

(2) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوغ، ص35.

(3) عيسى، راشد: نفسه، ص27.

(4) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوغ، ص35.

مختلفا حزينا وحيداً حتى في أسرته، ومن هنا تولد لديه الشعور الدائم أنه ليس كالبشر العاديين "عندما تكبر يا عبدون، سأحدثك عن غربتي ودمعتي في هذه الأسرة، إنني لم أكن طفلاً في يومٍ من الأيام بل فرخ جنّ"<sup>(1)</sup>، فهو في حالة من الاغتراب الداخلي والاحترقات النفسية التي تشعره بعدم المواءمة، ومن هنا بدا هذا الاختلاف والاغتراب والمغايرة لمرحلته العمرية، وشعوره الدائم بأنه جنّي وإن كانت عملية "استحضار الأطفال حضور الجن ليلاً أمر تستدعيه مشاعر الأطفال تلقائياً كنوع من اللعب واستشعار اللذة في الحذر والهروب والخوف"<sup>(2)</sup>، إلا أن جينو كان على الدوام يشعر بأنه جنّي ويشعره من حوله بهذا الشعور، وهو شعور استخدمه الكاتب "ليمارس حياته بحرية، مما أتاح له التغلب على حياة الفقر، والتخفيف من معاناته، لكن آثاره بقيت ملازمة له طوال حياته"<sup>(3)</sup>، وما ظهوره كعمل إبداعي إلا دليل على ما كان يستشعره راشد عيسى من نقص وفجوة عاطفية في تلك الفترة، ربما تُطوى صفحاتها في عالم اللاشعور والعقل الباطن كاعتمالات داخلية قلقة بقيت تضرب عليه فترة طويلة من الزمن.

### تمثلات الأبوة

لم يكن راشد عيسى بدعا من الأدباء الذين تناولوا العلاقة الأبوية في إبداعاتهم، ف(جينو) راشد عيسى في "مفتاح الباب المخلوع" هو (عربي) تيسير السبول في "أنت منذ اليوم"، وهو (سامي) سهيل إدريس في "الخدق العميق"، وهو (كمال) نجيب محفوظ في ثلاثيته، والقائمة تطول في ذكر الإبداعات الروائية العربية التي تمظهرت فيها هذه العلاقة الأبوية السلطوية الذكورية البطيركية الصارمة في الأسرة، فهو الأمر الناهي المطاع طاعة عمياء دون نقاش أو حتى إبداء للآراء، وإذا ما أراد أحد أفراد الأسرة ذلك، ووجه بالقمع والمنع. وقد ظهرت هذه الصور جلية في رواية "مفتاح الباب المخلوع" مدار البحث.

وإذا ما أنعمنا النظر في صورة الأب في الرواية وجدنا أنها واقعة بين النمطية المعهودة التي يحاول الطفل رسمها لوالده، خصوصا في المظهر الخارجي أو العلاقة الاجتماعية والنفسية التي تكشف عن الكيان الداخلي لتلك الشخصية، ففي الأولى تظهر صورة (إيلي) في نظر ابنه (جينو) بشيء من الإعجاب المستبطن، صورة ظاهرية تعريفية بميزاته التي تُظهر التمييز والاختلاف الذي يستشعره الطفل في أبيه، كونه مصدر السند والقوة التي يستند إليها في حياته "كان عزائي على غربة نفسي وأفكاري هو إيلي (أبي شئت أم أبيت) فهو بدوي غريب الأطوار فيه فروسية وكرم، راقص دبكة من الطراز الأول، عازف شباية، يعزف على سنّ واحدة، إذا شاهد امرأة جميلة يشهق ويقضض المرأة بعينه...، ماهر في أغلب الصناعات اليدوية، معتدل القامة، عضلي الجسد، مدخن عريق، أنيق كنمر، مباحث كذئب، معتز بنفسه حد جنون العظمة، متحدث لبق، رحيم على الفقراء، سليط اللسان، صياد نبيه، بنّاء يرحم المهندسين، عازف ربابية... اعتاد أن يضع الشباية على جنبه الأيمن، والشبرية (الخنجر) على جنبه الأيسر، ينام على

(1) نفسه، ص 146.

(2) الضمور، عماد، مرجع سابق، ص 94.

(3) الضمور، عماد، نفسه، ص 94.



ظهره<sup>(1)</sup>، تُظهر هذه الصور المظهر الخارجي للأب الذي يمتلك مجموعة من الصفات التي تشكل مصدر الإعجاب والفخر لدى الطفل، فهو صاحب بنية قوية ومتعدد المواهب إلى جانب الصفات الخلقية المتسمة بالاحذر والنباهة والأناقة والكرم والفروسية، وهي صفات نمطية قلما تغفلها الذاكرة الطفولية، معتمدة على الحواس أو "المشعرات بالوجود في اللوحة الواحدة، أو في عدد اللوحات المشكلة للنص"<sup>(2)</sup>، وقد لا تختلف عند كاتب عن آخر إلا بتغاير تلك الصفات حسب البيئة المكانية والاجتماعية التي عاش فيها طفولته. أما الصورة الثانية التي ركز عليها (جينو) في حديثه عن (إيلي) فهي الصورة النفسية التي تسفر وتكشف عن الكيان الداخلي للأب من ناحية، وتظهر العلاقة غير المتوائمة بين الابن وأبيه، خصوصا إذا وقع تحت تأثير عملية التدجين والنمذجة "التي يسعى النظام الأبوي البطريكي إلى نقلها إلى الأبناء، فالابن الأكبر أعيد انتاجه مجددا على نحو متشابه مع شخصية الأب المتسلط والقامع"<sup>(3)</sup> بحيث تضعف خيارات حرية السلوك وتتسحب تلقائيا إلى السلوك المدجّن تحت وطأة التربية الصارمة والإسقاطات السلوكية للأب، فهذا إيلي الذي لا يسكت على حقه يطلب من ابنه أن يأخذ بثأره من الكلب: "يا كلب، ارجع الآن مثل الذئب، الحق الكلب وعضّه مثلما عضك وإلا لا تدخل البيت... بحثت عن الكلب الذي عضني فوجدته ميتا، أعرف ماذا تقصد، لكني أنبهك: من يضربك بإصبع اخزق عينه بمخرز، كن ذئبا ولا تكن ثعلبا... هل تفهم؟ - أفهم... أف...م"<sup>(4)</sup>.

يشي هذا المقطع المتكئ على الذاكرة الطفولية المؤلمة والتربية الصارمة التي تعرض لها الطفل من قبل الوالد، فالسلوك الطبيعي أن يحاول الوالد معالجة ابنه النازف وليس نهره وطرده، والطلب منه أن يقوم بفعل وسلوك لا إنساني، وتحت وطأة التهديد والخوف والرهاب والاستلاب، ينصاع الطفل للقيام بهذا الفعل، وقد ظهر مقدار الخوف الذي عاناه من هذا الحادث بإجابته الأخيرة على خطاب الأب "أف.. ه..م".

رغم هذا الرهاب الذي عاناه جينو من أبيه، إلا أنه رأى فيه نموذجا للتحدي والقدوة، فهو في لا وعيه يستبطن التجربة في حالة من التعاطف لما عاناه الأب في طفولته، فكأنه يعيد بناء الذات وفق المعايير والظروف التي عاشها الأب، "كنت أخاف إيلي جدا لعنفه حين يضرب أحدا، وأحبه حين يبحث عن الفقراء ويناصرهم، ولم أكن قط أميز هل يكرهني أم ينتقم مني بسبب طفولته المريرة، لكن شعورا من التعاطف معه لازمني، وشعورا آخر من التحدي له لم يفارقني"<sup>(5)</sup> فهو واقع بين مشاعر متضاربة متضادة بين الخوف والحب، الخوف من سطوته وعنفه، والحب لصور التعاطف التي يبديها مع الفقراء، فجاءت عواطفه نحو أبيه متضاربة لا تتسم بالتوازن العاطفي الذي يجب أن يبديه الطفل الطبيعي نحو أبيه، فرغم مشاعر التعاطف الطبيعية التي أظهرها اتجاهه، إلا أن مشاعر التحدي لسلوكه السلطوي بقيت تجوس في

(1) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص20-21.

(2) الربيعات، عمر: مرجع سابق، ص115.

(3) الشريم، عدنان: الأب في الرواية العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إريد، 2008، ص43.

(4) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص23-24.

(5) نفسه: ص27.

داخله، وإن لم يُبدها له، ذلك "أن واقع السلطة الأبوية في المجتمع العربي التي تتمثل في سلطة الأب محاطة بالهيبّة التي تجمع بين الاحترام والرهبّة في آن واحد"<sup>(1)</sup> فهو الأب الذي تفرض الفطرة والموروث احترامه، والسلطة التي تفرض السطوة والخوف منه، وهذا ما جعل الطفل يقع تحت وطأة ازدواجية المشاعر؛ لأن الشخصية ذاتها مزدوجة المشاعر، وهذا ما انطبع في ذات جينو نحو والده، فهو غير متوافق مع أسرته وربما مع ذاته، إلا أنه متوافق مع مجتمعه ومحيطه، "كيف تريدني أن أملاً بطني وجيراني يموتون من الجوع؟ عرّضت نفسي للموت... صاحب المخزن أطلق عليّ الرصاص في أثناء ما كنت أسرق صفيحة السمن وكيس الطحين"<sup>(2)</sup>، إنها صورة الصعلكة التي تمارس سلوكا مغايرا للمجتمع، لهدف نبيل تحت تأثير "مشاعر معقدة تجعلها تعيش ازدواجية أخلاقية واجتماعية، تنعكس على سلوكها وتتحكم في المواقف المتعارضة التي تتخذها"<sup>(3)</sup>، فهو يمارس فعلا أخلاقيا مرفوضا، ويعرض نفسه لخطر جسيم من أجل الآخرين متناسيا حماية الذات التي هي إحدى أولويات الحياة.

أما الحقيقة التي تكشف الكيان الداخلي للأب فهي الخوف الدائم الذي يلزمه فهو لا يطمئن لأحد حتى ذاته، "حتى أمك احذرها... أنا أخاف من نفسي فكيف من أمك"<sup>(4)</sup>، ومن هنا فإن ما يقوم به من سلوكات تتسم بالغرابة، ما هي إلا ميكانيزمات دفاعية لحماية النفس "إيلي عصبي المزاج كالرعد، لا يطبق أن يخالف أحد رأيه"<sup>(5)</sup>، لأن المخالفة تهدد لذاته، وتعدي على رأيه وقناعاته، وهذا ما يُظهر سلوكه العصبي الدفاعي، كما أن الحذر الدائم وحالة الخوف من المحيط الاجتماعي يدفعه أيضا للحبطة والاحتراز وعدم الأمان، "في منتصف الليل يضع عصاه خلف ظهره تحت المعطف، ويضع مسدسه في جوريه والشبرية على جنبه، ويخرج ليصطاد الليل"<sup>(6)</sup>، إنها صورة المطارِد المستهدف الذي لا يثق بأحد إلا سلاحه، المتخفي عن الأنظار، المستتر بالعتمة والظلام، صورة تعكس سوداوية الحياة التي يعيشها الأب، وتكشف عن نفس مرّة عاشت المعاناة وشظف العيش، والمواجهة المباشرة للأعداء، فهو يشعر على الدوام أنّه مهدد من قبل الآخرين حتى أقرب الناس إليه، وهذا ما أسفر عن علاقة أبوية متوترة غير متوافقة أسرياً، "لا تحسب أنني ساموت... لن أسمح لأحد أن يشمت بي، لا أنت ولا أمك ولا حفار القبور ولا الموت نفسه، أنا لا أمرض... أنا لا أموت"<sup>(7)</sup>، وكان ذلك في معرض طلبه منه أن يأتي له بضمة بقدونس بعد أن أصيب بحصر بول ليلا، وما خطاب الأب في هذا المقطع إلا دليل كاشف عن هاجس التهديد من ناحية، وإثبات الحضور والقوة والسيطرة البطيركية من ناحية ثانية، "ولكي يضمن الأب الحفاظ على قيمه ومثله وقناعاته نجده حاضرا في حياة الأسرة حضورا يتصف بالقسوة والإذلال والإرضاخ لكافة أفراد

(1) الشريم، عدنان: سابق، ص 19.

(2) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 30.

(3) بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1990، ص 279.

(4) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 21.

(5) نفسه، ص 21.

(6) نفسه، ص 21.

(7) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 22.

الأسرة<sup>(1)</sup>، حماية لذاته ودفاعاً عن كينونته الأبوة التي رسخت في مخياله التراثي أنه صاحب السلطة الأول في الأسرة، ولا يجوز لأحد التعدي عليها.

تتكرر هذه الصورة التي تشي بمدى الخوف والتهديد الذي يلزمه معلا ذلك بانقطاعه عن السند في طفولته، إذ عاش هذا الأب يتيماً يرعى الغنم في كنف عمه، معتمداً دائماً على ذاته، واعتداده الدائم بقوته، يقول: "لطالما ردّ عبارة، أنا ليس لي أهل، لكن ما عاش من يتحداني، الموت لن يقدر عليّ، سأقتله إذا اقترب مني، أنا مكاني في السماء وليس في الأرض"<sup>(2)</sup>، ومن هنا نقدر الحكم على سلوكه المتطرف وحياته المشدودة أبداً، وانعكاسها على علاقته بالأسرة بشكل عام وعلى علاقته بابنه جينو على وجه الخصوص، ومن هنا ظهرت صورة الأب في ذاكرة الطفل على نحو غير متوافق اجتماعياً ولا حتى أسرياً، فلم نجد في ذاكرته لأبيه ما يبعث على الاطمئنان والأمان، أو الفرح والسرور، ذلك أن "الذاكرة لا تتدخل إلا في تشكيل الصور التي هزتنا وتلقيناها بمزيد من الاهتمام خلال عملية الإدراك، فهي تحتفظ بالمشاعر التي تحركنا"<sup>(3)</sup>، وهي مشاعر يشوبها الخوف والتوجس والتنبؤ الدائم بالعنف، مما جعل الطفل جينو يشعر على الدوام أن أباه لا يريد الخير له، ويخشى أن يتفوق عليه<sup>(4)</sup>، وهي صورة مغايرة للعلاقة الطبيعية التي تُظهر صورة الأب الإيجابية في نظر الطفل، ولا أظن أن هذه الصورة قد تكون ضمن العقدة الأوديبية، ذلك أن الكاتب لم يركز على صورة الحنان التي يتلقاها من الأم، ولم تكن علاقته الأمومية بأحسن حال من علاقته بأبيه.

## تمثلات الأمومة

غالبا ما تقترن الأم بمصادر الحنان والعطف والشفقة، ومن هنا يُعبر عنها باللجوء العاطفي كلما شعر الإنسان بجفاف الحياة وقسوتها، ناهيك عن الالتصاق الرحيمي الذي يشعر به منذ التكوين إلى أوقات متأخرة من حياته، وهي علاقة مهمة في حياة الطفل على وجه الخصوص، إذ تنمو معه وتكبر وتؤثر في سلوكه المستقبلي وعلاقاته الاجتماعية مع محيطه، كما تؤثر على اتزانه العاطفي وحكمه على المواقف العاطفية الحياتية إيجاباً وسلباً.

وإذا ما طالعنا صورة الأم في رواية "مفتاح الباب المخلوع"، وجدنا أنها صورة قلقة غير متوازنة، لم تظهر الأم فيها ظهوراً إيجابياً حميمياً مغدقا بالحنان والحنو والرحمة، لا بل ظهرت بصورة سلبية عدوانية في جانب، وفي جانب آخر مستكينة مستسلمة مستلبة، لا حول لها ولا قوة أمام السطوة الذكورية التي كان يمارسها الأب، وهذا ما أشعر الطفل جينو (راشد عيسى) بفقدان الحنان في كثير من الأحيان، ولجؤه إلى مصادر أخرى خارج البيت يطلب فيها هذه المشاعر المفقودة، وما هذه الصور التي سنعرض إليها في هذا المطلب من البحث إلا مكبوتات عاشت في وجدانه إلى أن ظهرت في هذا المنتج الروائي، ذلك أن

(1) شريم، عدنان: مرجع سابق، ص32.

(2) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص35

(3) المجالي، جهاد: دراسات في الإبداع الفني في الشعر، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص95.

(4) انظر: الضمور، عماد: مرجع سابق، ص101.

"حضور الحنان المفقود الذي يبحث عنه المبدع عند عودته إلى ذاكرته الطفولية"<sup>(1)</sup> فهو حضور دفاعي يحاول من خلاله إعادة التوازن إلى الروح الهائمة التي عانت ذلك الفقد.

لقد ظهرت علاقة الطفل جينو بوالدته وبمن حوله من العائلة علاقة متوترة غير متوائمة، "حتى إيشا رمت عليّ الطنجرة الفارغة وكادت تكسر رجلي، كانت متوترة كأصوات علب معدنية تسقط من رف عالٍ... سأجعلك تنام في الحوش عند العنز... لياكلك الغول وأخلص منك"<sup>(2)</sup> هذا ما يتذكره الطفل من سلوك أمه معه، بل هي صورة نمطية تكونت لدى العائلة في الحكم على سلوكه، وعلى حركته وشقاوته الطفولية، مما وُلد لديه شعورا بالعزلة والوحدة والغربة الاجتماعية الأسرية، فهذه جدته تخاطبه قائلة: "أنت دون أحفادي كلهم برّاني... لولا أنك ابن بنتي ما سمحت لك بدخول بيتي. وأحيانا كانت تلحقني بلا سبب وهي تقول: باش... كاش... ناش... خذوه لشجرة الخشخاش"<sup>(3)</sup>، وهو نوع من شيطنة السلوك الطفولي والنمطية التي تُسبغ بها شخصية بعض الأطفال، "فينشأ الطفل ثائراً على الظلم ومظاهر القسوة التي لقيها في طفولته، فيرفض مظاهر النظام الاجتماعي الذي يواجهه حين يكبر، فتنعكس علاقته بأبويه بما ترسب في عقله الباطن من صراعات"<sup>(4)</sup>، وهذا ما دعاه إلى مصاحبة كل أركان الطبيعة وجعلها بدائل موضوعية لأسرته (الشجرة، البقرة، العنز، الفتاحة، الماء، الطيور)<sup>(5)</sup>، التي ألّفها من حوله، وأحبها لما وجد فيها من عواطف أمومية تشعره بالأمان.

لم تظهر صورة الأم بأي مقطع من الرواية تُبدي صورة الحنان أو حتى قوة الشخصية أو المثالية، فهي على الدوام ذات سلوك فطري تؤمن بالخرافة والعرافة، فهي جاهلة حتى في العلاقات الاجتماعية، ثم لف حول حمامتي شاشاً أبيض، ورفع الجزء المقطوع من حمامتي، فأخذته إيشا ووضعته تحت الزير ونثرت فوقه شعيراً وملحاً، وكلمات دينية لم أفهمها... أعرف أنها فضحتني فهي دائماً مرتبكة مثل عصفور التين"<sup>(6)</sup>، تشي هذه الصورة بمدى العاطفة المفقودة نحو الأمومة، حتى أن الكلمات التي قالتها لم تعلق في وجدانه، وهو سلوك الإهمال وعدم الشعور بالعاطفة الأمومية.

وقد تتعزز هذه النظرة للأم من خلال الصورة الآتية، عندما عنّفه أبوه بعضة الكلب له، فلم تقم الأم بأي سلوك لحماية ابنها، "لم تتدخل إيشا... أدارت وجهها وكأن الأمر لا يعينها"<sup>(7)</sup>، فهي مستسلمة مستلبة للواقع الذكوري الذي فُرض عليها، فبدت عاطفتها متبلّدة نحو طفلها الذي ينزف، فلم تبد أي شعور عاطفي نحوه، أو أي ردة فعل توحى بذلك، أمٌ سلبية، حتى علامات الحزن والشفقة لم تظهرها أو تبدُ على محياها، فهي لا مبالية لما يحدث مع صغيرها.

(1) الرّبيحات، عمر: مرجع سابق، ص 201.

(2) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 77.

(3) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 11.

(4) فهيم، كلير: الأمومة وإشباع الحاجات النفسية للأبناء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006، ص 28.

(5) انظر: الرواية، ص 35.

(6) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 41-42.

(7) نفسه: ص 23.

ربما تكون هذه الصورة وغيرها من الصور هي التي جعلت ظهور الأم في الرواية في أضيق حدوده من ناحية، وما ترسب في ذات الطفل جينو نحو أمه من فقدان للحنان من ناحية أخرى. ورغم ذلك إلا أن هذه الأم تبدي عاطفة ما لزوجها القامع، فكأنها تستبطن الذل والهوان، وتطلب إرضاءه ما استطاعت، وهذا ما لم يحدث مع الطفل، الذي كان أكثر احتياجا لهذه العاطفة. وقد تكررت هذه الصورة في الرواية مرتين، "أمسكت بزوجها أحاطته بذراعيها وهي تقول: من هذا الذي سقتله..، استمرت تقرأ تعاويد وتردد (الشر بعيد.. الرب يحميك) ثم جلست إيشا في ركن الحجرة منكومة ببطانية، فيما أختي تبخلق بما حولها دون أن تتكلم"<sup>(1)</sup>، هذا في معرض ثورة زوجها على الحالة الاجتماعية (الفقر) التي يعيشونها. وفي موضع آخر تتكرر الصورة ذاتها: "ابتسمت إيشا وكأن شيئا لم يكن، أحاطته بذراعيها وهي تردد: قلب الرب حواليك... هو يحميك.. لن يحرمني منك"<sup>(2)</sup>، وكان ذلك في معرض لومها له على المخاطرة بنفسه من أجل الآخرين.

طبيعي أن يلاحظ الطفل مثل هذا السلوك الذي هو بأمس الحاجة له، لا بل يرى أن له أحقية في هذا الحنان، وإن بقيت مقموعة مستلبة في نظره لا تحرك ساكنا، وربما استبطن راشد عيسى تجربة (بلزك) مع أمه في تصويره لها في هذه الرواية، حيث يقول: "فلم يستطع بلزك أن ينسى ما فعلت هذه الأم في سالف الأيام بالطفل ابن السادسة... بنفورها وإعراضها"<sup>(3)</sup>، فهي لم تكن يوما في توافق مع طفلها، ولم تأخذ بذراعيها حنوا وعطفا، ومن هنا نجد أن الطفل جينو يلجأ إلى ما يسد هذا الفراغ العاطفي الذي عاناه مع أي امرأة يلقاها غير أمه، لا بل إن فقدان الأمومة الذي عاناه يشعره بالأمومة مع كل الإناث حتى إناث الحيوانات، "اقتربت من العنز المنبطح في طرف الحوش... رضعت حتى شبعت، قلت لها: شكرا لبيتك أُمي"<sup>(4)</sup> إنه الإحساس الدائم بعدم الإشباع الأمومي العاطفي الذي عاناه في كنف أمه المستلبة عاطفيا واجتماعيا.

وإذا ما عرجنا إلى صور النساء اللواتي وظّفهن في روايته، وجدنا صور التعويض العاطفي الذي استشره فيهن، والاعتراف بفضلهن في البرّ به، وأول النساء أم صالح بنت أبو الديب، "تساء المخيم يعترف بفضلها وحكمة رأيها، وأنا أول من يعترف أنها كانت بارّة بي، إنها أشبه بعشرين امرأة في امرأة واحدة"<sup>(5)</sup>، إنه يصف المفقود في أمه، أو ما لم يره فيها (الحكمة، والفضل، والبر)، وربما هي صورة تمنى بما يمكن أن تكون عليه إيشا، أمّا المرأة الثانية التي شعر بعواطف الأمومة تجاهها، فهي أم باجس التي رحبت به وأطعمته وحضنته ورجته أن يأكل حتى يشبع، "وتأمل هذه المرأة التي تشع نورا وأمومة كأنها ماء العطشان، ضمنتني إلى صدرها بقوة كما لو أنني ابنها الحقيقي، قالت: يا بني اعتبرني أمك... تكلم... لست كأمي... أنت شيء وأمي شيء آخر... أنت أم المسيح"<sup>(6)</sup>، فأم باجس منحتة الحنان والعطف

(1) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 29.

(2) نفسه: ص 31.

(3) عيسى، راشد: استدعاء الطفولة في الأدب، ص 147.

(4) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 47.

(5) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 98.

(6) نفسه: ص 103.

والاهتمام، وما افتقده في أمه؛ لأن أمه مختلفة عن كل الأمهات التي واجههنّ، لم يشعر معها بأي من هذه العواطف، بل لم تمنحه شيئاً منها، وربما تكون صورة أم سامي ابن صفه في المدرسة من أكثر الصور جلاءً وتعبيراً عن حالة الفقد الأمومي الذي يعانیه، وكيف يحاول التعويض معها، ونطقه صراحةً أنه لم يتعود على هذا الحنان، "قالت بأمومة بالغة: حرام أن تبيع! مدرستك أهم شيء!... وضعت السلة واقتربت مني، حضنتني بعطرها وأمومتها وقبلت جبيني المتسخ... قلت أمّ عظيمة، أنا لم أعتد مثل هذا الحنان السماوي، أنت ملاك... أنت أم الأطفال في كل الأرض"<sup>(1)</sup>.

لا يخفى ما في هذه الصور من حنو وحنان استشعره الطفل جينو الذي عانى فطاماً عاطفياً مع أمه إيشا، والذي بقي يضرب على مناطق اللاوعي في عقله الباطن، وبقيت هذه الذكريات مكبوتة في عالم اللاشعور؛ لتظهر من خلال هذا الإبداع الروائي، الذي يعيد إلى النفس شيئاً من توازنها من ناحية، ويُخرج هذه المكبوتات بطريقة سليمة إيجابية، وبالتالي إراحة الذات من حالة القلق والتوتر الذي لازمها طيلة مراحل حياته، فهو بذلك يفرغ هذه المكبوتات بحمولتها النفسية الضاغطة على ذاته، ليمنحها شعوراً بالراحة والالتزان.

### تمثّلات المكان

ربما لا نجانب الحقيقة إن قلنا أن الأمكنة هي الأكثر ثباتاً في ذاكرتنا من غيرها من الأشياء؛ لاعتمادها الذاكرة البصرية "التي عمادها الرئيس النظر والرؤية، التي نحسب أنها أقوى الحواس الموحية والملهمة"<sup>(2)</sup>، فالأماكن في العادة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأحداث وزمانها، فتعلق ذاكرتها وتفاصيل أشيائها من خلال هذه الأحداث. وعليه فإن أول ما تتشكل الذاكرة المكانية لدينا في بيت الطفولة، فهو "ركننا في العالم، أنه كما قيل مراراً، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى، وإذا طالعنا بألفة فسيبدو أبأس بيتٍ جميلاً"<sup>(3)</sup>، وقد اشترط باشلار عامل الألفة في جمال البيت البائس، فهل كان البيت لدى جينو (راشد عيسى) أليفاً محبباً! "بيتنا يا صديقي حجرة واحدة بناها إيلي بنفسه من حجارة وطين، لها باب واحد ونافذة واحدة أنام بقربها... معتمة في الليل والنهار... الحوش ساحة صغيرة محاطة بسياج من الخيش وأعواد الرمان، لدينا زيتونة صغيرة واحدة، وشجرة عنب صغيرة واحدة، تعطي كل عام عنقوداً واحداً أو لا تثمر"<sup>(4)</sup>.

نلاحظ أن هذا البيت يمثل حالة الفقر، فهو من غرفة واحدة من الحجارة والطين تتميز بالعمته الدائمة وبقلة المنافذ والوحدة، فكل شيء به اقتصر على الوحدة والصغر (الغرفة، الساحة، الزيتونة، وشجرة العنب) وقلة الإنتاجية. فمن خلال هذا الوصف يظهر عدم الألفة، فهو لم يكتنز ذكرياته الجميلة، ولم

(1) نفسه: ص174-175.

(2) الرّبيحات، عمر: مرجع سابق، ص115.

(3) باشلار، غاستون: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط22، 1984، ص36.

(4) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوغ، ص92.

يظهر إحساسه العاطفي به بقدر ما أظهر نفوره منه، إذا ما قايسناه بأماكن أخرى ذكرها في الرواية، ولم يشعره بالحماية والأمان رغم انغلاقه، إذ لم تتحقق به شروط هذه الحماية التي تحدث عنها باشلار، "إن البيت القديم، بيت الطفولة، هو مكان الألفة ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائماً نستعيد ذكره، ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن"<sup>(1)</sup> وهذا ما لم يشعر به جينو في بيت الطفولة، فدائماً ما ينظر إلى ذاته فيه على أنه أحد الموجودات المادية في هذا البيت، بلا إحساس بأحداثه أو ذكرياته فيه، إذ نجده يتأمل هذه الموجودات ويسقطها على ذاته بعد مناجاة مع هذه الأشياء التي يعج بها المكان، فهو "هاون، وبابور الكاز، وسراج، ونافذة، ومفتاح، وباب"، إذ يُنهي كل مناجاة لهذه الأشياء بعبارة لأنني مثله<sup>(2)</sup> أي أنه شيء مادي لا روح ولا إحساس بهذا المكان يشعره بوجوده، فكما أنه لم يشعر مع إيشا بالأمومة، فإنه لم يشعر مع بيت الطفولة بالألفة، وهذا ما دعاه إلى الطلب من والده أن يكون (الخَص) هو بيتهم الدائم، "عدت إلى إيلي، قلت: لماذا لا تسكن هنا دائماً؟ بندورة وسماك وحلفا وهذوء وطيور جميلة... ومع أي أصبت برعب هائل من وحشة النهر، فقد شعرت بعلاقة ما قامت بيني وبينه"<sup>(3)</sup>، فقد ألفت المكان وأحبه رغم أنه لم يمكث به إلا ليلة واحدة، ورغم ما أصابه من خوف من نهر الأردن إلا أنه قد أحس بالمكان وتكونت لديه علاقة إيجابية به، إذ اقترن المكان بالحياة والهدوء والطبيعة التي دعت إلى الطلب من أبيه الاستقرار في هذا المكان بدلاً من بيته، وربما يقع هذا في باب الهروب من الواقع الطفولي القلق المتوتر إلى عوالم أكثر رحابة واتساع، "فلبيت الطفولة أثره في تشكيل أحلام اليقظة، لا سيما أماكن العزلة، لما يحمله من بعد حميمي ناجم عن سعة مخيلة الطفل التي لا تحدها أية ضوابط تصميمية تطلع بها السلطة"<sup>(4)</sup> ففسحة المكان أشعرته بالحرية، حيث الحركة بلا قيود، كما أن إيلي أشعره للمرة الأولى بأهميته وأنه قادر على فعل شيء ما عندما اصطحبه في رحلة الصيد، وكيف أشركه في بناء (الخص). ورغم أن وصفه للخص في بداية الأمر لا يختلف عن صورة البيت الذي عانى فيه شقاء الحياة وشظف العيش وممارسات العنف والقمع، إلا أنه ألفت وأحب أن يركن إليه "أخذني معه إلى جسر دامية، جمعنا أغصاناً من شجر الدفلى ونبات الكلخ والحلفاء، وفي ظرف ساعتين كان الخص جاهزاً، يشبه خيمة مثلثة الشكل، باب الخص صغير ضيق، وأمام الخص أجمة من الشجر النابت في النهر وخصوصاً الحلفاء، وطيور ملونة مختلفة الأحجام والأشكال"<sup>(5)</sup>، فوصفه للخص في البداية لا يختلف عن وصفه لحجرة البيت وسياجها، ولا ما يعانيه من خوف دائم من وجوده بها، فلم تظهر في ذاكرته بما يوحي بحبه لها أو التعاطف مع موجوداتها، فكل ما تحمله من ذاكرة مشوبة بالخوف والقلق وعدم الارتياح "إيشا تضع صحنونا معدنية فارغة في كل مكان في حجرتنا الوحيدة التي نعيش فيها؛ لكي تنزل قطرات المطر المتساقطة من ثقب السقف التتكي، فتيلة السراج تنوس مثل أرملة تتذكر ليلة زفافها،

(1) باشلار، غاستون: سابق، ص 9.

(2) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 95-96.

(3) نفسه: ص 38.

(4) عيبير، محمد صابر، سحر النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص 27.

(5) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص 33.

ونواح الرياح عنيف... أغمض عيني على خوف هائل، وقطرات المطر المتساقط من ثقب السقف تبلل رجلي<sup>(1)</sup>، ذاكرة قلقة حزينة مرعوبة، تصح عن معاناة طفولية دائمة، ونفس بأئسه لم تترك إلى هذا المكان ولم تتوافق معه، وربما هذا ما جعله يقف موقفا معاديا له، بقيت تضرب على عالم اللاشعور في ذاته، دائمة الحضور وإن كانت ذاكرة مؤلمة، إلا أنها "تظل محفورة في داخله، فتتحول جزءا أساسيا في الذات، وتمارس فاعليتها في تكوين موقفنا من الأشياء، وتظل حاضرة أبدا في نفوسنا، تستثير فينا دوافع مجهولة وغريبة"<sup>(2)</sup>، فحضورها الدائم هو ما يستثير خروجها في الإبداع الأدبي لدى الأديب، حتى وإن ظهرت بقولب سلبية غير متوافقة أو معادية لعالم الطفولة الأكثر حميمية وألفة.

ومن الأمور اللافتة في هذه الرواية، أن راشد عيسى قد ركز على الأماكن الموحشة التي تستدعي الرهبة والخوف على غير عادة الأطفال في استحضار مرباع الصبا وملاعبها وأفرانها، فيستحضر المقبرة وبيت العرافة الموحش، يقول: "حالما وصلت المقبرة شاهدت كلبا مقعيا على قبر يقضض عظمة... هرب الكلب إلى جهة أخرى، فتبعته، دار حول المقبرة دورتين، وأنا أركض خلفه... توقف فجأة... ترك العظمة ومضى، أمسكت بالعظمة فكانت ملساء ليس عليها أي أثر للحم، فاتجهت إلى بيت جدي لأمي، تذكرت أنها تربي الحمام، قفزت من فوق السياح القصير، فإذا قط أسود سبقني إلى الحمام وبفمه فرخ، قفز القط مذعورا فتبعته بين البيوت"<sup>(3)</sup>، صحيح أنها ذاكرة الجوع والفقر والعوز، إلا أن أماكنها وموجوداتها موحية بالرعب والخوف لطفل لم يتجاوز العاشرة (المقبرة، لحاقه بالكلب، ثم بالقط الأسود) فالمقبرة بحد ذاتها مكان موحش مليء بالرهبة والخوف، فكيف إذا قام الطفل بمطاردة كلب في ذلك المكان للحصول على ما علق على العظمة من بقايا، ثم ما يلبث إلى الاتجاه إلى مكان آخر لا يقل رهبة عن المقبرة "اتجهت إلى كوخ الفتحة (سردة) الكائن قريبا من المقبرة، كوخ صغير من الصفيح المهترئ المتقوب من كل الجهات... تأملت كوخها... فلاندت من الخرز الأحمر والأخضر والأصفر معلقة هنا وهناك، قوارير صغيرة ملونة، جمجمة كبش بقرنين معقوقين بشكل لولبي غريب، صرر ممتلئة بالأبازير، جلود حيايا"<sup>(4)</sup>.

لا يخفى ما للمكانين من هالة الرهبة والخوف، فهل ما ترسب في ذاته من وحشتها هو الدافع لبروزها في استرجاع الذاكرة؟ وهل ما زالت تلك الأماكن تشكل هاجسا لدى راشد عيسى، فجعل جينو معادلا فنياً لطرده تلك الهواجس؟ وإلا ما دواعي الإصرار على استدعاء هذه الأماكن في الذاكرة الطفولية لديه دون غيرها؟ ولماذا شكلت لديه ألفة مكانية يتلذذ في استدعائها في منجزه الروائي؟

ربما لا نجانب الصواب إن قلنا أن حالة الرهاب والقلق والكبت التي عاناها في تلك المرحلة، وما زالت تضرب على مكامن اللاشعور هي التي استوتحت استعدادتها، وإعادة صياغتها منجزا أدبيا إبداعيا، خصوصا إذا ما علمنا أن الأديب قد تجاوز الستين من عمره عند إنجاز هذه الرواية، وعادة ما يحاول المبدعون في هذه السن استنكار الماضي وحياة الطفولة في ظل الحياة المادية الآلية، إذ "عادة ما تظهر

(1) نفسه: ص 28-29.

(2) الرواشدة، سامح: مرجع سابق، ص 17.

(3) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلو، ص 45.

(4) نفسه: ص 47-49.



صورة القرية في حالة النكوص إلى عالم الطفولة، بعد أن تكون المدينة قد التهمت كل جماليات النفس في وعيه<sup>(1)</sup>، وهي ظاهرة واضحة في إبداعات الأدباء والكتاب عندما يصبحون في سنٍ متقدمة<sup>(2)</sup>، إذ العودة تمنحهم شيئاً من تبيد القلق، وجفاف الحياة التي يعانونها.

ومن المظاهر المكانية الطفولية الظاهرة في الرواية تعدد الأمكنة وعدم استقرارها، فهو لا يركن إلى مكان يعيد استنكار طفولته فيه، حتى أبوه دائم التنقل بيني بيتاً لحاجة ما ثم يهجره لبيت آخر، "قلت: لماذا لا نأخذ الخص معنا؟ ضحك، ثم اكفهر وجهه فجأة وقال: أمثالنا ليس لهم بيوت دائمة... كل الأرض بيت مؤقت... إذا رجعنا إلى النهر نبني خصاً آخر... هيا سنعود الآن، ألقيت نظرة على النهر وقلت له: ليس وداعاً يا أبي!"<sup>(3)</sup>، فإجابة الأب تشي بعدم الاستقرار والثبات، وقد تقع في باب المسكوت عنه لحياة الشتات واللجوء التي عاشها الأب مهجراً عن وطنه فلسطين، إذ عنى بذلك أن من لا وطن له لا استقرار له، فكل الأرض بيت للشتات والهجرة.

يلحُ راشد عيسى (جينو) في ذاكرته المكانية على هذا المنحى من عدم الاستقرار والثبات، حيث تتعدد الأمكنة التي ينتقل بها الأب "يحمل على ظهره حقيبة ممتلئة بالحلفاء المجدولة والقطع الخشبية وفيها قُدوم وسكين حادة، يسافر إلى عمان والكرك وإربد والقدس والسلط ورام الله، يبحث عن المقاهي الشعبية في المدينة، يجلس في زاوية المقهى يجهز كراسي القش المطلوبة، وإذا جاء الليل ينام في المقهى نفسه"<sup>(4)</sup>، فهو لا يستقر بمكان، فحيث يجن عليه الليل ينام في ذلك المكان، فهي حياة أشبه بحياة المشردين الذين لا يستقرون بمكان، فكل الأمكنة بيت لهم، وهنا نجد أن الأمكنة رغم أنها في مرحلة زمنية حملت ذاكرته الطفولية إلا أنها بلا هوية مستقرة يمكن أن نؤطر أحداثها ونقبض على ذكرياتها وديمومتها، "قالمكان بلا هوية يبقى ناقصاً، والمكان دون مكوناته، يبقى صفحة بيضاء"<sup>(5)</sup> يلفه الغموض والقلق وعدم الاستقرار.

(1) الربيعات، عمر: مرجع سابق، ص90.

(2) الربيعات، عمر: مرجع سابق، ص188.

(3) عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، ص39.

(4) نفسه: ص33.

(5) ضمرة، محمد: مرجع سابق، ص176.

## الخاتمة

لا يخفى لمتتبع رواية "مفتاح الباب المخلوع" لراشد عيسى أنها تحكي قصة طفولته في أغلب مفاصلها، وهي طفولة بائسة فقيرة شابها العوز والحاجة، واقتراها بحالة اللجوء والشتات في المخيم. لقد ظهر جلياً انعكاس حالة الفقر والعوز على معظم صور الذاكرة الطفولية وأثرها في تكوين الشخصية الطفولية التي ظهرت مغايرة للطفولة العادية، كما كان لحالة المعاناة الأسرية وتعرضه للقمع والعنف النفسي والجسدي داخل الأسرة أثر في عدم التوافق النفسي والمواءمة الأسرية، فبدأ في حالة عداة دائم مع أسرته، مما دفعه إلى البحث عن الأمان في أماكن وأسر أخرى، وقد أبرزت صور الطفولة حالة التوتر والقلق وعدم الارتياح لمحيطه المجتمعي.

لقد برزت حالة فقدان الحماية الأبوية والعاطفة الأمومية بشكل جلي في استعادته لأيام طفولته، فظهر طفلاً مغايراً في سلوكه للأطفال العاديين وما يحسون في عالمهم الأسري، فغالبا ما يرى نفسه ويحقق ذاته خارج الإطار الأسري.

وأخيراً فقد انعكست حالة عدم التوافق الأسري على إحساسه بالمكان، إذ كان البيت في حالة من عدم التوافق معه، على عكس الأمكنة الأخرى التي أحبها وشعر بالطمأنينة والألفة لها، وفي جانب آخر وجدنا أن الأمكنة المتصلة بوالده غير مستقرة أو ثابتة، فهي متبدلة ومتعددة على الدوام، بمعنى أن البطل في الرواية كان منفصلاً عن واقع الأسرة النفسي، ولم يكن منفصلاً عن أمكنته الرومانسية ذات الطبيعة الحية الباعثة للحياة التي شكّلت ملاذاً له من أزماته النفسية.

## المصادر والمراجع

- إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، 1990.
- باشلار، غاستون: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.
- بجاوي، حسن: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
- الربيحات، عمر: الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2011.
- الرواشدة، سامح: الشعر وذاكرة الطفولة، دراسة في شعر محمد لافي، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2011.
- الشريم، عدنان: الأب في الرواية العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، 2008.
- الشيخ، خليل: السيرة والمتخيل، قراءات في نماذج عربية معاصرة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2005.
- ضمرة، محمد: مكانة المكان، دراسة تحليلية في ثلاثية عبد الله رضوان الشعرية، دار البيروني، عمان، 2006.
- الضمور، عماد: راشد عيسى وثلاثية السيرة الأدبية، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2021.

- عبيد، محمد صابر: سحر النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005.
- العناني، حنان: الصحة النفسية للطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1990.
- عيسى، راشد: استدعاء الطفولة في الأدب، كتاب الرياض 183، مؤسسة اليمامة الصحفية، ط1، الرياض، 2013.
- عيسى، راشد: مفتاح الباب المخلوع، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
- فهيم، كليبر: الأمومة وإشباع الحاجات النفسية للأبناء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006.
- المجالي، جهاد: دراسات في الإبداع الفني في الشعر، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، 2008.
- منسي، حسن: علم نفس الطفولة، دار الكندي، الأردن، ط1، 1998.
- هاموند، كلوديا: لماذا تصاحبنا الذكريات المؤلمة، موقع (BBC Future)، 19 مارس، 2015.
- يونغ، ك، غ: علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، اللاذقية، 1997.